

العداوات الدموية والعجز عن تحقيق النجاح

د. لاينا فرهات هولزمان

كاتبة ومؤرخة أمريكية



موقع فاميلي سيكوريستي ماترز (قضايا أمن الأسرة)

3 يونيو 2008



Blood Feuds and the Failure to Thrive

by Dr. Laina Farhat-Holzman

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس

شهد العقد الماضي انخفاضا في مستوى الفقر حول العالم ونهضة من النمو الاقتصادي. كما تبدأ آسيا وأمريكا اللاتينية حاليا باللاحاق بركب الغرب واليابان. لكن توجد هناك استثناءات لهذه الصورة المتفائلة في معظم دول العالم العربي. ما عدا الدول النفطية. إضافة إلى دول أفريقيا التي تقع جنوب الصحراء العربية. فهذه الدول لا تزال تعيش حالة شاقة من العجز عن تحقيق النجاح.

العداوات الدموية والعجز عن تحقيق النجاح

في حالة العالم العربي، توجد ممارستان سلوكيتان تعيقان التقدم، وهما: مقاومة تعليم المرأة وتمكينها من النفوذ للحياة العملية، وشيوع العداوات الدموية. ففي السعودية ودول الخليج تتلقى النساء التعليم إن سمح لهن أبائهن. لكن حظر الاختلاط ما بين الجنسين يمنع معظم النساء من العمل. وفي غير هذه الدول من العالم العربي، ينحدر مستوى تعليم النساء بشكل معيب، حتى في الإحصائيات التي يقدمها العرب أنفسهم.

أما العداوات الدموية فهي عادة لا ينتبه إليها معظم الباحثين الذين يحاولون فهم عجز العرب عن تحقيق النجاح. ويمكن ملاحظة ذلك في تقرير الأمم المتحدة عن التنمية في العالم العربي، وهو تقرير كتبه مثقفون عرب بأنفسهم، وشخصوا فيه مشكلة مهانة المرأة لدى الشعوب العربية، ولكنهم لم يوردوا شيئاً عن العداوات الدموية، مع أن التاريخ يزخر بأمثلة عن تعامل المثقفين مع هذه المشكلة...

فالإغريق القدماء عرضوا أبعاد هذه المسألة في أساطيرهم المسرحية والدينية، ووصفوا العداوات العائلية وذكروا كيف أن المشاركين في هذه العداوات نادراً ما يتذكرون السبب الأصلي لحدوثها، وفي مسرحيات (اورستيا)، و(سبعة ضد طيبة)، و(انتيفون) صور تعكس حالات ثلاث لأشهر العداوات العائلية التي جلبت الأسى لأناس طيبين.

وروى شكسبير لنا قصة (روميو وجوليت) التي تدور حول أبناء عوائل متعادية يعيشون في حزن بسبب حماقة عوائلهم. وفي نهاية المسرحية، يتصالح الآباء ويشعرون بالمرارة ندما على عدائهم الأحمق.

وكان للاسكتلنديين تاريخ مروع من العداوات الدموية بين قبائلهم، الأمر الذي تضافر مع مناخهم القاسي وأرضهم البور ليقوا في حالة فقر لا فكاك منها إلى أن فتح الانكليز بلادهم وانضموا إلى دولة أكبر. ومع انتهاء تلك العداوات، انهمك الاسكتلنديون في عملية إصلاحية تعد الأكثر إبهاراً؛ ففي أقل من قرن أصبحوا الدولة الرائدة في مجال العلوم والطب والثورة الصناعية.

العداوات الدموية والعجز عن تحقيق النجاح

كما عاشت ولاية غرب فرجينيا الأمريكية، والتي جاء معظم سكانها من اسكتلندا، حقبة طويلة من العداة التقليدي بين القبائل والعائلات، ومن ذلك العداة السيئ الصيت ما بين عائلي هاتفيلد وماكوي. إن هذه العادة، ضمن عوامل أخرى، أسهمت في فشل هذه المنطقة وعجزها عن تحقيق أي إنجاز إلى وقت حديث نسبيا.

وفي لبنان صورة تمثل العداوة الدموية أبلغ تمثيل، كما نشاهد اليوم في نشرات الأخبار، وكما لا نعتقد بأن ما يجري هناك هو مجرد حرب دينية داخلية، نحتاج إلى أن نعلم بأنه حتى داخل الدين نفسه توجد عداوات دموية ذات عواقب وخيمة. وكان على السوريين أن ينهوا الحرب الأهلية الأخيرة بالقوة، وهو إجراء قوبل بالغضب مع أنه أعطى اللبنانيين أول حالة سلام يتمتعون بها منذ عقود.

ولا يكتفي الفلسطينيون برعاية عدائهم الدموي مع إسرائيل، وهو عداة يرفضون التخلي عنه، فهم أيضا يعانون من العجز عن النجاح بسبب عدد لا يحصى من العداوات الدموية بينهم. يا لهم من جيران عنيدون لإسرائيل! حيث كان من الممكن أن تكون لهم دولة كإسرائيل منذ ستين عاما مضت لكنهم بعثروا مهارات ثلاثة أجيال على أعراف البغضاء والعداوات الدموية.

وماذا عن دول جنوب صحراء أفريقيا؟ لقد فشلت هذه المنطقة في تحقيق النجاح لأسباب ثلاثة هي: الانفجار السكاني الهائل (ما من أرض أو غداء يكفي تلك الجموع، كما هو الحال في رواندا)؛ والإساءة للنساء عندهم على الصعيد الجسدي والفكري والاقتصادي (إذ ليس للنساء حق امتلاك أي شيء)؛ والفائض من المواد الأولية كالألماس والمعادن التي تؤمن مبيعاتها تمويلا للعصابات وداواتها الدموية. ولم تبد قيادات الدول الأفريقية المجاورة لهذه الدول، والتي لم تصبها تلك العدوى، أي تصرف ينجح في قيادة هذه الدول إلى إنهاء هذه التصرفات المرعبة.

إن العداوات الدموية هي العدو الذي يعمل ضد التقدم الاجتماعي والاقتصادي. ولن يجدي

العداوات الدموية والعجز عن تحقيق النجاح

إنفاق الأموال نفعاً في حل هذه المسألة. وعلى التغيير أن يأتي من داخل المجتمع نفسه؛ فالكارثة قد تكون أشد المعلمين صرامة.